الحلقة الثانية عشرة

بالصوم يرقى الصائم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فإن العبادة تذكّر الإنسان بمن خلقه وهو الله ، وتشعره بألوهيته عز وجل ، وتجعله يحس إحساسا عميقا بأن الله تعالى هو الذي يملك كل شيء ، وأنه القادر على كل شيء ، والعالم بكل شيء ، والمتصرف في كل شيء وبالإضافة إلى هذا الشعور والإحساس الإيماني ، فإن العبادة تدعم الصلة ، وتقوى الرابطة بين الإنسان وربه ، ثم هي وسيلة إلى غاية سامية ، وهى التربية الروحية، واليقظة القلبية ، والتهذيب النفسي ، والتوجيه إلى ميادين الفضائل والخير ، والله تبارك وتعالى يريد لعباده أن يحلّقوا في عالم الرقى عن طريق عبادته، وان يكونوا أهلا لرضاه ومحلا لغزير بره وعطاياه، ولن يتحقق ذلك إلا بصفاء أرواحهم ، ونقاء نفوسهم وطهارتها من الشوائب ، ونظافتها من الأقذار.

والصيام عبادة تطهيرية ، ولون من ألوان العبادة ووسيلة لأفضل هدف وأعظم غاية ، ولكي يثمر الصوم ويحقق الغاية السامية منه ، فلا بد أن يكون هذا الصوم بكل الجوارح ، لا بالبطن والفرج فحسب ، ولا بد أن يكون مصحوبا بإخلاص النية لله رب العالمين ، والعبادات المتنوعة تؤدى إلى تكوين الفرد تكوينا سليما مبنيا على الفضائل ، وبالتالي تؤدى إلى خلق مجتمع مثالي، مجتمع فاضل إنساني ، مجتمع مترابط متواد يسوده الحب والوئام ، وترفرف فوق ساريته راية الإخاء والتكافل والتضامن.

والصيام كفريضة من الفرائض الإلهية ، وعبادة من العبادات التي كلف الله عباده بها ، يوجه سلوك الفرد التوجيه السليم ، ويبني أخلاقه البناء القوي ، ويوقظ ضميره ، ويعدل مسار حياته إلى ما هو أفضل ، ويسمو به إلى أفضل مستوي من المثالية ، ما دام يؤدي هذه الفريضة أداء أمينا صادقا ، وما دام يتأثر بهذه العبادة ، فلا اقتراف لمنكر ، ولا ارتكاب لوزر ، ولا وقوع في محرم ، وما دام يوجه أعضاءه إلى ميادين الطاعة والبر والخير ، وما دام القلب طاهرا من الملوثات ، متصلا بخالقه ، بعيدا عن الدنس ، والصيام الحقيقي الإيجابي ، يربط الوجدان بالعمل والفرد بالمجتمع ، والدين بالحياة ، ومن هنا يرتبط الفرد بمجتمعه في تعاطف وإيثار ، وبذل وتضامن وتكافل وتضحية ، والصوم لا يكون صياما حقيقيا ذا أثر دنيوي وأخروي ، إلا إذا صام القلب عن الحسد والضغينة ، والأحقاد ونوازع الشر ، وأشرق بنور الإيمان ، وأضاءت جوانبه نتيجة الصلة بالله تعالي ، ومثل هذا الصوم الذي يكون القلب فيه موصولا بالله ، مرتبطا بالفضائل ، خاليا من الأمراض ، والذي تكون فيه الأعضاء بعيدة عن الآثام ، وموجهة إلى صالح الأعمال ، بالإضافة إلى الامتناع عن المأكل والمشرب واللقاء الجنسي في النهار ، إن مثل هذا الصوم صوم صفوة الصفوة من المؤمنين بالله ، وصوم العارفين بخالقهم حق المعرفة ، الذين يحرصون علي رضاه ، ويعملون علي القرب الحقيقي منه ، من خلال ما يؤدون من عمل صالح متقن أمين ، وما يقومون به من عبادة خالية من الشوائب والعيوب ، وبتفاعل قلوبهم مع ما يؤدون من عبادات ، وما يرسخ في نفوسهم من فضائل إنسانية حميدة ..

إن مثل هذا الصوم مقبول من الله ، والسماء تفتح أبوابها لاستقباله ، ويتبع ذلك الجزاء العظيم من الله ، وإن مثل هؤلاء الصائمين ، لهم المنزلة العالية عند ربهم ، ولهم في دار البقاء اسمي المكافآت ، وأعظم المنازل ، أما أولئك الذين يصومون صوما خاليا من روحه ، بحيث يمسكون عن شهوتي البطن والفرج ، ولا يمسكون ألسنتهم عن قول الزور ، ولا عن الكذب في القول ، ولا عن تمزيق أعراض الناس ولا عن تقطيع الروابط الاجتماعية ، ولا يكفون أبصارهم

عن النظر إلى المحرمات من النساء ، ولا يمتنعون عن الأمور الأخرى التي نهي عنها الله ، إن هؤلاء الذين يكونون في صومهم علي هذا النحو وبتلك الطريقة ، لن يستفيدوا من صيامهم ، ولن ينالوا من ورائه إلا التعب والنصب ، وينطبق عليهم قول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - :

- "كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر" . إذ أن مثل هذا الصوم قد ضاعت حكمته ، وتلاشت فوائده الروحية والخلقية ، والإسلام لا يكتفي بالصورة الشكلية الظاهرية للصوم ، وإنما يريد أن تتحقق في الصوم مقاصده وغاياته ، ولذا قال الرسول - صلوات الله وسلامة عليه - :

- "من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " ففائدة الصوم تضيع في ظل القول الآثم ، والفعل الشائن ، وليس للصائم ثواب من صومه وليس لله حاجة في أن يترك الصائم طعامه وشرابه ما دام بهذه الصورة الخارجة عن الإطار الإيماني ، والحديث ذكر قول الزور ويقاس عليه الإثم بجميع ألوانه والمعاصي بجميع صورها ، والأعمال الضارة في شتي مظاهرها ، وقد نهي ربنا عن كل ألوان الشر لأنها رذائل ويكمن فيها الضرر ، والنهي عن الرذائل ليس خاصا بالصوم ، وإنما هو نهي عام وشامل ، نهي يعم جميع الأوقات، وينصب علي كل الأزمنة فإذا حدث شيء من تلك الرذائل في غير شهر رمضان ، فإن فاعلها يعرض نفسه لغضب الله ، ويتضاعف جرم هذه الرذائل في شهر رمضان ، وبالتالي يتضاعف الغضب الإلهي ، والعقاب الرباني ، وما دام الأمر كذلك ، فليحذر الصائمون من أن يفعلوا شيئا يضر بصيامهم ، ويعرضهم لغضب ربهم وشديد عقابه ، ليحذروا ارتكاب شيء من الرذائل في شهر رمضان أو في غيره من الشهور ، فإن الآثام نار محرقة ، وسموم مهلكة ، والمسلم الحقيقي هو ذلك الذي يكون نظيف الأعضاء من الوقوع فيما نهي عنه الله ، وهو الذي يحمل روحا ملائكية ويكون ذا شفافية وصفاء ، وكمال نفسي وسمو خلقي .

أيها الإخوة والأخوات : إن الصيام يقيم المجتمع الإسلامي علي أسس متينة، وحين يقام علي هذه الأسس التي استهدفها وعلي الوجه الأمثل الذي ينشده ، وبالصورة الكاملة التي أمرنا بها الدين ، فإن آثار الصيام تنعكس علي ذلك المجتمع، وبهذا يكون الخلق الإسلامي الرفيع ، وتكون الفضائل الإنسانية العالية ، والقيم الفاضلة والسمو ، وتتحقق المعايير والمقاييس التي جاء بها الإسلام وطلب من أتباعه تحقيقها ، وبها يكون البناء متينا شامخا وتكون دعائم المجتمع قوية متينة ، وركائزه راسخة عميقة ، فعلينا نحن المسلمين أن يكون مجتمعنا كما يريد الدين ، وذلك ببناء النفوس بناء سليما ، وبأداء عبادة الله كما يجب أن يكون الأداء ، فإذا صمنا وجب علينا أن نؤديه بجميع أعضائنا ، وفي مقدمتها القلب بحيث يكون متفاعلا مع فريضة الصيام ، وإذا صلينا كان الأمر كذلك وهكذا تؤدي جميع العبادات بروحها النابضة ، والله نسأل أن يوفقنا إلى أن نكون كذلك ، اللهم آمين .